

خطبه الجمعة - الخطبة ٠١٤١ : خ ١ - الهجرة - هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ، خ ٢ - الطبّ الوقائي .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٦-٠٩-٠٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ، ولا اعتصامي ، ولا توكلّي إلا على الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً برُبوبيّته ، وإرغاماً لمن جحد به وكفر ، وأشهد أن سيّدنا محمّداً صلى الله عليه وسلّم رسول الله سيّد الخلق والبشر ما اتّصلت عين بنظر ، وما سمعت أذن بخبر .
اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريّته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحقّ حقاً وارزقنا اتّباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

ذكرى الهجرة :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ نحن في مناسبةٍ إسلاميّةٍ غاليّةٍ على قلب كلّ مسلم ، نحن في مناسبة الهجرة ، هجرة النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه الكرام من مكة إلى المدينة . وقائع الهجرة ، أسباب الهجرة ، نتائج الهجرة ، ملابسات الهجرة .

حقائق مستتبطة من الهجرة :

القصص التي تُروى في مناسبة الهجرة تعرفونها جميعاً ولكنني أريد أن أستنبط من الهجرة حقائق تُعين المسلم على تطبيق دينه في كلّ زمان ومكان .

الحقيقة الأولى : الأخذ بالأسباب .

الحقيقة الأولى أن النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيّد الخلق ، وحيب الحق ، هو أولى الناس بالنصر ، ما من مخلوق على وجه الأرض يستحقّ تأييد الله ونصره والدّفاع عنه كرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، ومع ذلك كيف هاجر ؟

لقد اتّخذ الأسباب ، وبحث عن مكانٍ يستقرّ فيه حتى تخمد شدة الطلّب عليه ، فاختر غر ثور ، وسار بطريقٍ معاكسٍ لطريق المدينة ، سار مساحلاً ، اختار رجلاً يتقصّى له أخبار قريش ،

وآخر يمحو بغمه آثار أقدامه وصاحبه الصديق ، وخبيراً للطريق ، ومن يأتيه بالزاد كل يوم ، سلك كل الأسباب التي تؤدي إلى نجاته .

ثم توكل على ربّ الأرباب ، توكل على ربّ الأرباب بعد أن أخذ بالأسباب . هذا موقف نبيكم عليه الصلاة والسلام ، أدب جم مع خالق الكون ، تمثل هذا الأدب باتّباع سنّيه ، أما هذا الذي لا يتخذ الأسباب ، ويتوكل على الله عز وجل ، نقول له : كذبت ، فليس هذا هو التوكل .

أيها الطالب أدرس ، ولا تضيع دقيقة من عامك الدراسي ، وبعدها توكل . وأيها الطبيب ابحث ، وأغن معلوماتك وبعدها ذلك صف الدواء ، وتوكل على الله عز وجل . ويا أيها الزارع ألق حبة في الأرض ثم توكل على الله عز وجل .

ما من إنسان يقبل توكله إلا إذا استنفذ جهده في تأدية الأسباب ، هذا هو الدين ، حينما فهم المسلمون التوكل ؛ ترك الأخذ بالأسباب ، والتمني على الله تعالى ، صاروا وراء الأمم ، وتخلفوا ، غزاهم عدوهم في عقر دارهم ، ولم تكن كلمتهم هي العليا ، لأنهم تركوا الأخذ بالأسباب ، الطالب يجب أن يدرس وبعدها يتوكل ، والتاجر يفكر في الصفقة المناسبة ، وفي رواجها ونوعها ، وسعرها ، وبعدها يعقد هذه الصفقة ، وإلا تكون هذه الصفقة سبباً في إتلافه الصانع يبحث عن السلعة الرائجة يُتقنها ثم يتوكل .

النبي عليه الصلاة والسلام علمنا في مناسبة الهجرة أنّ التوكل على الله سبحانه وتعالى لا يُعفي صاحبه من الأخذ بالأسباب ، فالدرس الأول أنه لا بدّ من التوكل مع الأخذ بالأسباب .

التقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بجماعة تشكوه الفقر ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكلون ، فقال : كذبتم ، المتوكل من ألقى حبة في الأرض ، ثم توكل على الله تعالى .

الحقيقة الثانية : الهجرة لها موقف عملي .

شيء آخر ؛ أنّ الهجرة موقف عملي ، وليست موقفاً نظرياً ، الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٧٢]

أي ما لم يتخذ المؤمن موقفاً عملياً ، فليس بمؤمن ، أن تقبل الإسلام شيءً بديهي ، والإسلام دين الله مبني على قواعد الحق ، وقواعد الخير والمنطق ، يلتقي مع العقل ، فإذا قبلته ماذا فعلت ؟ ماذا قدمت إذا قبلت الإسلام ؟ ولكن الإيمان أن تقف موقفاً ، أن تدع شيئاً لله تعالى ، أن تقبل على شيءٍ لله تعالى ، وأن تبتعد عن شيءٍ لله تعالى ، وأن تأخذ بشيءٍ لله تعالى الإسلام مواقف ، أما إذا ظننت الإسلام أفكار ، أو ثقافات ، أو معتقدات من دون أن تتعكس في الحياة ، على شكل مواقف ، فهذا فهم سقيم أورثنا الضياع والتردد .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٧٢]

أي ما لم يتخذ المؤمن موقفاً عملياً ، فليس بمؤمن ، لو أن طبيباً وصف لك وصفاً فشكرته عليها ، وأثبتت على علمه ، ولم تشتت هذه الوصفة ، فهذا أبشع أنواع التكذيب بعلمه ، عدم اتخاذك موقفاً من هذه الوصفة دليل تكذيبك لعلمه ، ولو لم ينطق لسانك بالتكذيب ، ولو أنه نطق بالحمد والثناء والشكر إن لم تأخذ موقفاً عملياً فلست مؤمناً ، الإيمان ؛ ما وقر في القلب ، وأقر به اللسان ، ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ، ولكن ما وقر في القلب ، وأقر به اللسان ، وصدقته العمل .

موقف المسلمين هو موقف الصمت ، وهذا لا يفعل شيئاً ، ولا يغض بصره عن محارم الله تعالى ، ولا ينتهي عن شيء حرمه الله تعالى ، يأكل ما حراماً ، ويختلط مع نساء لا تحل له ، يفعل ما شاء ، ويوم الجمعة يأتي إلى المسجد ، ماذا تفعل هنا ؟ ألا تستحي من الله عز وجل ؟ تعصيه طوال الأسبوع وتأتيه إلى بيته !!؟

أيها الأخ الكريم ؛ الإسلام مواقف ، فما لم تأتمر بأمر الله تعالى ، وما لم تنته عما نهاك الله تعالى فلست بمؤمن ، الإمام عليّ كرم الله وجهه يقول : احذر أن يراك الله عند معصيته ! احذر أن يفتقدك الله عند طاعته فتكون من الخاسرين ، إذا قويت فاقوا على طاعة الله ، وإذا ضعفت ، فاضعف عن معصية الله ، هذا هو العقل ، وأرجحك عقلاً أشدكم لله حبا .

الحقيقة الثالثة : باب الهجرة مفتوح إلى يوم القيامة .

الاستنباط الثالث من الهجرة ؛ أن الهجرة ليست محصورة بين مكة والمدينة فباب الهجرة من مكة إلى المدينة قد أغلق ، فلو أن أحداً من سكان مكة الآن ركب سيارته ، واتجه إلى المدينة هل يُسمى مهاجراً ؟ لا ، باب الهجرة من مكة إلى المدينة قد أغلق ، ولكن باب الهجرة مفتوح إلى يوم القيامة بين مدينتين تشبه إحداهما مكة ، والثانية المدينة ، أي يجب أن يكون دينك أعلى شيء في حياتك ، فإذا هدد دينك في بلد ما ، إذا مُعنت من ممارسة شعائر الله تعالى فيجب أن تغادر المدينة إلى مدينة تقيم فيها شعائر الله تعالى ، باب الهجرة مفتوح إلى يوم القيامة بين مدينتين تشبه إحداهما مكة .

شيء آخر ، أن هناك هجرة معاكسة ، وهي أخطر أنواع الهجرة ، فأنت في بلد طيب ، تأتي المسجد ، وتسمع نداء الله تعالى ، تجلس في مجالس العلم ، وفي بلد طيب ، الشام صفوة الله من أرضه ، وفيها صفوته من عباده ، أنت في بلد طيب يُذكر الله فيه ، والمآذن تصدح بذكر الله تعالى والمساجد عامرة بالمصلين ، مجالس العلم ما أكثرها ، تترك هذا البلد إلى بلد تمارس فيه الرذيلة على قارعة الطريق ! تأتي إلى بلد الزنا أهون شيء فيه ، تأتي إلى بلد تعيش فيه أشهراً ، وسنين ، ولا تسمع كلمة الله ، هذه الهجرة المعاكسة في سبيل الشيطان ، ومن أجل المال ، ومن

أجل اقتناء سيارة ، ومن أجل حاجةٍ دُنْيَوِيَّةٍ تنتهي بزوال الدنيا ، إذا كنت في بلدٍ طَيِّبٍ تكثرُ فيه المساجد ، تحضرُ فيه مجالس العلم ، تستطيع أن تمارس شعائر الله عز وجل ، فأياك أن تدعه إلى بلدٍ ربّما طغَتْ عليك الدنيا ، من أقام مع المشركين فقد برئت منه ذمّة الله تعالى ، ومن هوي الكفرة حُشِرَ معهم ، ولا ينفعهُ عمله شيئاً .

الحقيقة الرابعة : عبادة في الهرج كهجرة إلى .

الاستنباط الرابع من الهجرة ، أنك إذا كنت في بلدٍ كثُرَتْ فيه الفتن ، فأنت تعبد الله في هذا البلد وتستقيم على أمره ، هذه العبادة تُعدّ عند الله تعالى هجرةً تامّةً إلى الله ورسوله ، قال عليه الصلاة والسلام : عبادة في الهرج أي في الفتن ، أي إذا سرت في الطريق فالنساء كاسيات عاريات ، مائلاتٌ مميلات ، إذا دخلت إلى السوق ، فالربا ، والبيع بالتقسيط ، وجميع النواهي التي نهى عنها النبي عليه الصلاة والسلام ترتكب في الأسواق ، وحيثما التفت وجدت المعصية ، والفتنة قائمة ، عبادة في الهرج كهجرة إلى .

النبي عليه الصلاة والسلام رحمةً بأُمَّته أعطى معنىً موسّعاً للهجرة ، فقال عليه الصلاة والسلام: المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، أي إذا ابتعدت عن كل معصية نهاك الله عنها ، فأنت بهذا المعنى مهاجرٌ ، أي هاجرت إلى الله ورسوله ، إذا أُويّت إلى مجلس علم ، والناس في النزاهات ، إذا جلست مع أخٍ لك مؤمنٍ في سهرةٍ تتحدث عن الله سبحانه وتعالى ، والناس وراء أجهزة اللّهُو ، إذا كنت في بيتٍ صديقٍ تذكّره ، والناس في الطرقات يملؤون عيونهم من الحرام ، إذا آثرت طاعة الله على معصيته ، وبيته على بيوت اللّهُو ، وذكره على ذكر الدرهم والدينار ، فأنت مهاجر ، وهذا نوعٌ من أنواع الهجرة .

يا أيها الأخ الكريم ، عبادة في الهرج كهجرة إلى ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والنبي عليه الصلاة والسلام لا يثمن الهجرة إلا بالنية الطيبة .

عن عُمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه على المنبرِ قال سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقولُ :

((إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ))

[رواه البخاري]

أيها الإخوة الأكارم ؛ استقامتك على أمر الله في زمن القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر .

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ))

[رواه الترمذي]

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي قَالَ فَقَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَيْسَ نَحْنُ إِخْوَانُكَ قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي))

[رواه أحمد]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((بَدَأَ الْبِاسِلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ))

[رواه مسلم]

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ؛ إيثاراً ، تضحيةً ، وحزمٌ في الاستقامة ، ووقوفٌ عند حدود الله ، تمايزٌ بين المؤمنين وغير المؤمنين كُنْ مع المؤمنين ، قال تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

[سورة الكهف الآية : ٢٨]

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾

[سورة التوبة الآية : ١١٩]

قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾

[سورة المائدة الآية : ٣٥]

قال تعالى :

﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾

[سورة الكهف الآية : ١٦]

إذا أُوْتِيَ إلى بيت الله فكأنما أُوْتِيَ إلى الكهف ، أُوْتِيَ إلى بيتٍ تنتزل فيه الرحمة ، إن بيوتى في الأرض المساجد ، وإن زوارها هم عمارها فطوبى لِعَبْدٍ تطهر في بيته ثم زارني ، وحق على المزور أن يُكرم الزائر .

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ النبي عليه الصلاة والسلام صاحبُ الهجرة ، والمهاجر الأول ، يقول :
 ((بئس العبدُ عبدٌ تخيلَ واختالَ ، ونسيَ الكبيرَ المتعالَ ، بئس العبدُ عبدٌ تجبرَ واعتدى ، ونسيَ
 الجبارَ الأعلى ، بئس العبدُ عبدٌ سها ولها ، ونسيَ المقابرَ والبلى ، بئس العبدُ عبدٌ عتا وطغى ،
 ونسيَ المبتدأَ والمنتهى ، بئس العبدُ عبدٌ يختلِ الدينَ بالشهواتِ ، بئس العبدُ عبدٌ طمعَ يقوده ،
 بئس العبدُ عبدٌ هوى يُضلهُ ، بئس العبدُ عبدٌ رغبَ يُدلهُ))

[أخرجه الترمذي]

هذا الحديث فيه حقائق كثيرة .

وبئس العبد عبدٌ تخيلَ واختالَ ؛ لا يتكبر إلا الأحمق ، والجاهل ، ولا يدخل الجنة من كان في
 قلبه مثقال ذرة من كبرٍ تخيلَ واختالَ ، ونسي الكبير المتعال ، نسي الله تعالى ، ونسي حسابَه
 ونسي تأديبه ، ونسي بطشه ، ونسي عدالته ، وأنه بالمرصاد ، وعلينا رقيبًا ، نسي قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

[سورة الزلزلة الآيات : ٧ - ٨]

نسي قوله تعالى :

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[سورة الحجر الآيات : ٩٢ - ٩٣]

هذه الأقوال كلها نسيها ، ونسي قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾

[سورة طه الآية : ١٢٤]

نسي قوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾

[سورة السجدة الآية : ١٨]

ونسي قوله تعالى :

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ
 وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾

[سورة الجاثية الآية : ٢١]

نسي قوله تعالى :

﴿ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ
 الْمُحْضَرِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٦١]

بئس العبد عبدٌ تخيلَ واختالَ ، قد يختال إنسان على الناس ، وهو من أوضع الناس ، قد يختال
 عليهم جاهل ، وقد يختال عليهم فقير ، ليس الاختيال موقفٌ على الأغنياء ، فقد يختال الفقير ،

والجاهل ، والجاحد ، بئسَ العبدُ تخيّل واختال ونسي الكبير المتعال ، بئسَ العبدُ تخيّل واختال ، ونسيَ الكبير المتعال وبئسَ عبدٌ تجبّر واعتدى ، ونسيَ الجبار الأعلى ، بئسَ العبدُ سها ولهي وكأنّه لا يموت ، كأنّ هذا الذي مات مسكين ، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطّانا إلى غيرنا ، وسيتخطّى غيرنا إلينا فلننخذ حذرنا .

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ لا بدّ من يومٍ اقترب أو ابتعد من أن يستيقظ الناس ، ويقروون على الطريق اسم كلّ منّا في النعوة ، لا بدّ أن يقرأ الناس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، آل فلان وآل فلان ، وعمّه وابن أخيه ، وابن أسرته ، ينعون إليكم بمزيد اللوعة والأسى فقيدهم الغالي فلان ، هذه اكتبتها منذ الآن ؛ لأنّه لا بدّ منها ، بئسَ العبدُ سها ولهي ونسي المقابر والبلى نسي هذه الحفرة ، سيحاسبُ فيها المرء على كلّ شيء ، عبيد رجعوا وتركوك ، وفي التراب دفنوك ، ولو بقوا معك ما نفعوك ، ولم يبق لك إلا أن وأنا الحي الذي لا يموت ، نسيَ هذه اللحظة ، لذا كان بعض العارفين بالله قد اشترى قبراً ، وأبقاه مفتوحاً ، وكان كلّ خميس يتوجّه إليه وينزل فيه ، ويتمدّد على أرضه ، هذا المكان ، هذا المثوى الأخير ، ويتلو قوله تعالى :

﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾

[سورة المؤمنون الآيات : ٩٩ - ١٠٠]

فيقول قومي يا نفس فقد أرجعناك ! بئسَ العبدُ عتا وطغى ونسي المبتدى والمنتهى ، المبتدى نطفة ، والمنتهى جيفة ، خرج من عورة ، ودخل في عورة ، ثمّ خرج إلى القبر ، هذا هو المبتدى والمنتهى ، وبئسَ العبدُ عبدٌ يخنل الدنيا بالدين ، إذا تضرّر من قضية وجّه الموضوع توجيهاً دينياً ، ويقول : أهذا يجوز ؟ أهكذا يفعل المسلم ؟ يحتجّ بالدين إذا أُصيبت مصالحه بضرر ، فإذا طغى وبغى وأكل ما ليس له ، يبقى ساكناً ، حينما يحتاج إلى الذين يتكلّم باسمه ، عندما تهدّد مصالحه يتكلّم بالدين ، وبالفقه ، فإذا ارتكب الكبائر يبقى ساكناً ، وبئسَ العبدُ يخنل الدين بالشبهات ، يتصيّد الشبهات ، هذه فيها فتوى ، وهذه العالم الفلاني أفتى بها ، والله سبحانه وتعالى جعل لك مفتياً معك ، استفت قلبك وإن أفتاك المفتون وأفتوك ، وبئسَ العبدُ طمعٌ يقوده ، وهوى يضلّه ، ورجبٌ يذله .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ أحياناً يتعلّم الإنسان علماً ، ويظنّ نفسه عالماً ، وهذا العلم قد لا ينفعه يوم القيامة ، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال : اللهمّ إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع ، ودخل النبي عليه الصلاة والسلام على بعض أصحابه فرأهم متحلّقين حول رجلٍ فقال لهم : من هذا ؟ فقالوا : نسابة ؟ فقال : وما نسابة ؟ قالوا : يعرفُ أنساب العرب ، فقال عليه الصلاة والسلام : ذلك علمٌ لا ينفع من تعلّمه ، ولا يضرّ من جهل به .

تروي الكتب أنّ نحوياً جلس في مجلس عالمٍ ، فلحنَ هذا العالم ، أي حرّف حركةً خطأً ، رفع ما حقّه النصب أو العكس ، فقال هذا النحويّ : أخطأت في هذه الكلمة ! فقال له الواعظ : أيّها المعرضُ في أقواله ، اللاحنُ في أفعاله ، أكلُّ هذا لأنّي رفعتُ ، ونصبتُ ، وخفضتُ ،

وجزمت؟! هلاً رفعتَ إلى الله يديك بالدعاء ، هلاً نصبتَ بين يديك ذكراً الممات ، هلاً خفصتَ نفسك عن الشهوات ، هلاً جزمتمها على فعل المحرمات ، أفلا تعلم أنه لا يُقال للمسيء يوم القيامة : لم لم تكن فصيحاً ؟ ولكن يُقال له : لم كنتَ عاصياً مذنباً ؟ ولو كان الأمر بالفصاحة لجعل الله تعالى الرسالة في هارون ، ولم يجعلها في موسى ، قال تعالى :

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَاهُ مَعَِّي رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾

[سورة القصص الآية : ٣٤]

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا ، وسيخطئ غيرنا إلينا فلننخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين ، وأشهد أن سيّدنا محمّداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الطب الوقائي :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ الطبّ الوقائي طبّ جاء به الإسلام قبل ألفٍ وأربع مئة عام ، الدين الإسلامي في أساسه يقول على الطبّ الوقائي ، فبعض وسائل الطبّ الوقائي حظنا النبي عليها ، قال : ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ، وبحسب ابن آدم لقيمات يقمّن صلبه ، وبعض وسائل الطبّ الوقائي دمجها الله سبحانه وتعالى بالعبادات ، فجعل الوضوء شرطاً للصلاة ، وجعل الغسل شرطاً للصلاة ، وبعض وسائل الطبّ الوقائي كانت هي العبادة أي العبادة طبّ وقائي ، من هذه العبادات التي هي عينُ الطبّ الوقائي الصلّاة ؛ تنوّع الحركات ، والقيام والركوع ، والسجود والاعتدال ، والقيام من الركوع ، ومن السجود ، هذه الحركات هي حركات نموذجية ، تتفق مع أحدث نظرية في التمرينات السويدية التي أقرّها مجموعة من علماء هذه التربية .

شيء آخر وهو أن علماء التربية الرياضية يقولون : خيرُ التمرينات ما كانت يومية ، وما كانت متكررة ، وما كانت موزعة على أوقات اليوم ، وما كانت غير مجهدة ، أربع شروط ، خيرُ التمرينات ما كانت يومية ، ومتكررة ، وموزعة على أوقات اليوم غير مجهدة ، وهذه الشروط كلّها تتوافر في الصلّاة ، وخيرُ التمرينات هي التمرينات التي يستطيع كلّ إنسان أن يؤديها ، صغيراً كان أو كبيراً ، صحيحاً كان أو سقيماً ، مقيماً كان أو مسافراً ، غنياً كان أو فقيراً ، خيرُ التمرينات التي يؤديها كلّ إنسان ، أبرز ما في الصلّاة أن العلماء يقولون : إنّ أكبر الأمراض

العصبية ، وإن أكثر أمراض الأوعية الدماغية سببها اضطراب تزوية الدم للمخ ، ماذا يفعل السجود ؟ قال : إذا سجد الإنسان يتجه الدم بفعل الجاذبية إلى رأسه تحتقن الشرايين ، فإذا رفع رأسه ينخفض الضغط فجأة من احتقانها ، أي ارتفاع الضغط ، ومن انخفاضه ، تكتسب هذه الشرايين ، ولا سيما شرايين المخ مرونة عجيبة ، وتقوى جذورها ، وعضلاتها .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في الركعة الواحدة تخفض رأسك ، وترفعه ست مرات ، وفي اليوم الفروض مع السنن ، بمجموع مئتين وست عشرة مرة وفي الشهر سنة آلاف ، وأربع مئة وثمانين مرة ، تخفض وترفع ، هذا يكفي لوقاية الإنسان من أمراض شرايين المخ ، ومن الجلطة في المخ ، ومن انفجار أوعية المخ ، أحياناً تقيس الضغط ؛ ثلاثاً وعشرين في الشخص السليم ، وإنسان آخر على العشرين يُصاب بانفجار شريان بالدماغ ويموت فجأة ، لماذا انفجر الشريان هذا فمات من توه ؟ وذلك لم ينفجر ؟ لأن هذا الشريان مرّن بفعل الصلاة ، أما هذا الشريان فليس فيه مرونة ، ومتصلب ، فلما جاءه الضغط انفجر .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ العلماء يقولون تزداد مرونة الشرايين وتقوى جذورها وعضلاتها بالسجود .

وشيء آخر أن أحد أسباب الشقيقة ضعف التروية ، وفي السجود تمتلئ الشرايين بالدم ، الصلاة تحرك جميع العضلات القابضة ، والباسطة ، الصلاة تحرك المفاصل كلها حتى المفاصل الفقرية ، أمراض كثيرة ليس أقلها الديسك ، هذا الركوع والسجود مرونة فائقة للعمود الفقري . شيء آخر أن الحركات الرياضية التي نؤديها على شكل صلاة إنما تنشيط القلب ، والدورة الدموية ، وتوسع الشرايين ، وتقيها التصلب .

شيء آخر أن الصلاة تحسن وظائف الدماغ ، وتروض الإنسان على التأقلم مع العمليات الفجائية ، في عضلات المصلي مرونة ، فلو التقت فجأة لا يُصاب بشيء ، لأن هناك بعض أمراض الديسك تنأت من حركة فجائية فحركات الصلاة تُكسب الإنسان مرونة ، هذا عن فوائد الصلاة المادية ، أما عن فوائدها الروحية فحديث عنها ولا حرج .

الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت فإنك تقضي ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، ولك الحمد على ما قضيت نستغفرك اللهم ونتوب إليك ، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، وأثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا ، وأصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل

خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كلِّ شرٍّ ، مولانا ربَّ العالمين ، اللهمّ اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمّن سواك ، اللهمّ لا تؤمّنّا مكرّك ، ولا تهتكّ عنا سترّك ، ولا تنسنا ذكرك ، يا رب العالمين ، اللهمّ إنّنا نعوذ بك من عُضال الداء ومن شماتة العداء ، ومن السّلب بعد العطاء ، يا أكرم الأكرمين ، نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الذلّ إلا لك ، ومن الفقر إلا إليك ، اللهمّ بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحقّ والدين وانصر الإسلام وأعزّ المسلمين ، وخذ بيدٍ وولاتهم إلى ما تحبّ وترضى إنّه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين